كتاب تذكرة الملوک　عرب ٧


كتاب تذكرة الملوك الى احسن السلوك
برسم
المقام الشريف ملك البرين
والبحرين مولانا السلطان
الملك الاشرف ابى النصر
قانصوه الغورى عز
نصره

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لدين الإسلام

بإرسال محمد بن عبد الله خير الأنام

وجعل من أمته الملوك والوزرا والحكام

فبهم ينتصف المظلوم من الظالم بالانتقام

وتحصل الأمن بالمسير إلى بيت الله الحرام

وتسد الثغور وتقام شعائر الإسلام

وتحصل الجهاد لأعداء الله اللئام

وصلى الله على سيدنا محمد أفضل من صلى

وصام وآله وصحابته السادة

الكرام ما طلع النهار ومحى جنح الظلام

أما بعد فهذا مجموع لطيف

في سير الملوك والوزراء المتقدمين

والقضاة القائمين بأحكام الدين

وما كانوا عليه من العدل والانصاف

ورتبته أربعة ابواب الباب الاول

فيما يلزم الملك من النظر لنفسه وصلاح

رعيته الباب الثاني فيما ينوب الوزير

من نصيحة الملك ورجوع الملك الى رأيه

الباب الثالث فيما يرجع الى القضاة

القائمين بالاحكام الشرعية ۞

والامور الدينية الباب الرابع فيما

يلزم من حفظ الجند ومراعاة احوالهم

وسميته تذكرة الملوك الى احسن

السلوك ۞ والله الموفق للصواب ۞

واليه المرجع والمآب ۞ وهو حسبي ونعم الوكيل

ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

الباب الاول

فيما يلزم الملك من النظر لنفسه وصلاح
رعيته فاول ذلك ما روى الشيخان
عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال سبعة يظلهم
الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام
عادل وشاب نشأ في عبادة الله
ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجلان

تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه
ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال
فقال إني أخاف الله ورجل تصدق
بصدقة أخفاها حتى لا تعلم شماله ما
تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا
ففاضت عيناه وروى الشيخان ايضا
عن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
كلكم راع ومسؤول عن رعيته الإمام
راع ومسؤول عن رعيته والرجل راع
في أهله ومسؤول عن رعيته والمرأة
راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن
رعيتها والخادم راع في مال سيده
ومسؤول عن رعيته وكلكم راع

ومسؤول عن رعيته وروى ابن ماجة والبزار
واللفظ له عن ابن عمر رضي الله عنهما عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال السلطان
ظل الله في الأرض يأوي إليه كل
مظلوم من عباده فإن عدل كان له
الأجر وكان على الرعية الشكر
وإن جار أو حاف أو ظلم كان عليه الوزر

وعلى الرعية الصبر وإذا جارت الولاة
قحطت السماء وإذا منعت الزكاة
هلكت المواشي وإذا ظهر الزنا
ظهر الفقر والمسكنة وإذا أخفرت
الذمة أديل الكفار أو كلمة نحوها
فالواجب على من قلده الولاية على
أحد من خلقه أن يراعي حدود الله بإقامة

الواجب فيها ولا أحد أشفق من الخالق عز وجل
وبارتكاب المحظورات توعد بالعقوبة
والمستحب أن يكون الملك رحيم القلب
مع إقامة الحدود التي ندب الله إليها
في كتابه ورسوله في سنته ۞ والشفقة
على خلق الله من شعائر الإيمان وكان
أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله

عنه يخرج كل ليلة مع العسس حتى يرى
خللا يتداركه وكان يقول لو تركت
عنزا جربا على جانب ساقية لم تدهن
لخشيت أن أسأل يوم القيمة وقد قال
عبد الملك بن مروان إن أفضل الناس
من تواضع عن رفعة ❁ وزهد عن قدرة
وأنصف عن قوة وقال بعض الحكما

التواضع في الشرف أشرف من الشرف
والملوك أعلى الناس هما وأبسطهم يدا
فلذلك كان الكبر والإعجاب بهم
أقبح وأثره عليهم أفضح وينبغي للملك
أن ينظر إلى ما قلده الله من أمور الرعية
بالاستشراف على أحوالهم وأن يعتمد
على رجال من أهل الدين والصلاح والأمانة

بأن تجعلهم عيونا له لكشف المظالم وردع
أهل المنكر وكف الغواة والمتعصبين
في الفتن فإن ذلك مما تحسن به سيرة
الملك ويدعا له بالتوفيق ويقتدى
بعدله من يدانيه من الأمصار
وحكي أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
رضي الله عنه كان يطوف أزقة المدينة

فسمع

فسمع صوتا يقول ويل أم عمر أسهر ليلي
وأموت بغصتي وألقى الله بفاقتي وهو
يتولى أمور المسلمين فقرع الباب
فقيل من بالباب فقال العبد المقصر
في شأن رعيته فخرجت عجوز شمطا حتى
وقفت بالباب فقال عمر يا أختاه
ما فاقتك فإني لا أعلم ما تكن البيوت

وإنما جهدي أتجسس لأقف على حاجة المحتاج
وفاقة ذي الفاقة ❁ هلا رفعت إلي
أمرك فقالت يا عمر إن قبل الله منك
هذا العذر فقد نجوت ❁ فشهق عمر
شهقة خر مغشيا عليه ❁ فلما أفاق
سألها حاجتها فذكرت له جوع أطفالها
فذهب من فوره وحمل عدل دقيق على

عاتقه ومحرف تمر وأتاها به واعتذر إليها
فبكت وقالت من للمسلمين بعدك يتذللون
عليه ❁ لا أعدمهم الله حياتك يا عمر
وحكي أن المأمون رحمه الله كان
يجلس للمظالم في يوم الأحد فنهض ذات
يوم من مجلسه فتلقته امرأة في ثياب ❁
بذاذة فقالت يا خير منتصف يهدى له الرشد

ويا إماما به قد أشرف البلد

تشكو إليك عميد الملك أرملة ❀ عدا عليها فما تقوى به أسد

ابتز منها ضياعا بعد منعتها ❀ لما تفرق عنها الأهل والولد

فأطرق المأمون يسيرا ثم رفع رأسه وقال

من دون ما قلت عيل الصبر والجلد ❀ وأقرح القلب مني الحزن والكمد

هذا أوان صلاة الظهر فانصرفي ❀ وأحضري الخصم في اليوم الذي أعد ثم قال

لها أحضري خصمك في يوم الأحد فانصرفت

ثم حضرت في يوم الاحد في أول الناس

فقال لها المأمون رضي الله عنه أين

خصمك فقالت القائم على رأسك العباس

بن أمير المؤمنين ۞ فقال المأمون لقاضيه
يحيى بن أكثم وقيل بل قال لوزيره أحمد
بن أبي خالد أجلسها معه وانظر بينهما ۞
فأجلسها معه ونظر بينهما بحضرة المأمون
فجعل كلامها يعلو فزجرها بعض حجابه
فقال دعها فإن الحق أنطقها والباطل
أخرسه وأمر برد ضياعها ۞ فانظر

أيها الملك المؤيد بحسن التوفيق إلى عدل
أمير المؤمنين المأمون ۞ وما خصه الله
به من الإنصاف والانتصاف من ولده
ورد الحقوق إلى أهلها حكي زيد بن
أسلم قال رأيت ليلة من الليالي عمر بن
الخطاب رضي الله عنه يطوف مع العسس
فتبعته وقلت أتأذن أن أصحبك فقال

نعم فلما خرجنا من المدينة رأينا نارا
من بعد فقلنا ربما يكون هناك مسافر
فقصدنا النار فرأينا امرأة معها ثلثة
أطفال صغار وهم يبكون وقد صنعت
لهم قدرا على النار وهي تقول الهي أنصفني
من عمر ❁ وخذ لي منه بالحق فإنه
شبعان ونحن جياع ❁ فلما سمع عمر

ذلك تقدم وسلم عليها وقال أنا أذن
أن أدنوا منك فقالت إن دنوت بالخير
فبسم الله فتقدم عمر وسألها عن حالها وحال
أطفالها ❁ فقالت وصلت وهؤلاء
الأطفال معي من مكان بعيد والأطفال
جياع وقد بلغ مني ومنهم الجهد والجوع
قد منعهم من الهجوع ❁ فقال عمر

أي شيء في القدر فقالت فيها ما أشاغلهم
به ليظنوا أنه طعام فيصبروا قال
زيد فعاد أمير المؤمنين إلى دكان بياع
الدقيق فابتاع منه مل جراب ومضى إلى
دكان القصاب وابتاع منه دسما
ووضع الجميع على كاهله وحمله يطلب
به المرأة والأطفال فقلت يا أمير المؤمنين

ناولنيه لأحمله عنك قال إن حملته
فمن يحمل ذنوبي ومن يحول بيني وبين
دعا تلك المرأة علي وجعل يسعى ويبكي
إلى أن وصلنا إلى المرأة فقالت المرأة
جزاك الله عني خيرا فأخذ عمر شيئا
من الدقيق وشيئا من الدسم فوضعه في
القدر وجعل يوقد النار وكلما أرادت

أن تخمد نفخها وكان الرماد على وجهه
ومحاسنه حتى استوى الطبخ فوضعه في
القصعة وقال للأطفال كلوا وأكلت
المرأة والأطفال ❁ فقال أيها المرأة
لا تدعي على عمر فإنه لم يكن عنده منك
ومن أطفالك خبر ❁ ومما يعتد به الملوك
من الخلال التي ندب إليها أن يكون ذا شجاعة

وإقدام وتأني وحسن خلق واحتمال
والمداراة في مكانها والرأي والتدبير
في الأمور ❁ والإكثار من قراءة الكتب
وحفظ سير الملوك ❁ والفحص عن الأحوال
والأعمال التي اعتمدها الملوك وعملوا بها
لأن هذه الدنيا بقية دول المتقدمين
الذين تملكوا وانقرضوا جيلا بعد جيل

وصاروا تذكارا لمن بعدهم يذكر
كل انسان منهم بفعله ❀ فالدنيا والآخرة
كنزين فكنز الدنيا • الثناء الحسن
وطيب الذكر ❀ وكنز الآخرة
العمل الصالح واكتساب الأجر ❀

الباب الثاني

فيما يلزم الوزير من نصيحة الملك

وسداد الرأي والأصل في ذلك ما أخبر
الله عز وجل في كتابه القديم ❀ معبرا
عن الكليم عليه السلام بقوله واجعل
لي وزيرا من أهلي هرون أخي اشدد به
أزري وأشركه في أمري أي يكون معينا
في أمر النبوة وأداء الرسالة ❀ وخص
هرون بذكر الوزارة لعلو منزلتها ❀

وإن كانا مشتركين في النبوة **فالوزير**
شريك الملك في أموره وعيبة أسراره
وأس قواعد دولته ولا ينبغي لأحد
من الملوك أن يعتمد على رأي نفسه ويدبر
سلطانه بغير وزير ومن انفرد برأيه
ضل ألا ترى أن النبي صلى الله عليه
وسلم مع جلالة قدره وعلو درجته

وعظم

وعظم فصاحته وكمال عقله أمره
الله تعالى بالمشاورة مع أصحابه فقال الله
تعالى وشاورهم في الأمر فإذا كان
النبي عليه السلام مع هذه الخصايص التي
خصه الله بها قد أمر بالمشاورة وكان
غيره من الناس أحوج إليها كما قال الشاعر
إذا الحمل الثقيل تداولته أكف القوم خف عن الرقاب

وسئل بعضهم أي الأصحاب أصلح
للملك قال الوزير العاقل المشفق الأمين
الصالح ليدبر معه رأيه وعلى الملك
أن يعامل الوزير بثلثة أشيا أحدها
أنه إذا ظهرت منه زلة أو وجدت منه
هفوة لا يعاجله بالعقوبة وأن يصور
لتلك الهفوة وجها يسعه الاحتمال

والثاني إذا استغنى في دولته واتسع
حاله في خدمته لا يطمع في ماله وثروته
والثالث إذا سأله في حاجة لا يتوقف
في قضايها ولا يحتجب الملك من رؤية
الوزير متى أراد أن يراه وأن لا يسمع
في حقه كلام مفسد حسود وأن لا
يكتم عنه شئ من سره لأن الوزير الصالح

حافظ سر السلطان ❁ وبه عمارة الولايات
والخزاين وقال بعض الحكماء
يحتاج السلطان إلى ستة اشيا لكي تتم
بها السلطنة منها الوزير الصالح
يظهر اليه سره ❁ ويدبر معه رأيه ❁
ويسوس أمره ومنها الجواد السابق يعتضد
به يوم باسه ومنها السيف القاطع

ومنها

ومنها السلاح السابغ ومنها المال الكثير
لتقوية جنده ومنها الطباخ الأمين
الحاذق باغذية الملوك ومايوافق
امزجتهم ومن اقوى اسباب الدولة
النظر في مبادي الامور وعواقبها كما
روي أن بعض وزراء العجم قال
لسلطانه أيها السلطان إني أري من

الحزم أن نبني أمرنا مع العدو على أربعة
أوجه على اللين والبذل والكيد
والمكاشفة ومثل ذلك مثل الجرح
فأول علاجه التسكين والتليين فإن لم
ينفع فالبط فإن لم ينفع فالكي وهو آخر
العلاج وقال بعض الحكماء من
أعرض عن الحذر والاحتراس وبنى أمره

على غير أساس زال عنه العز واستولى
عليه العجز فينبغي لمن ولاه الملك
الوزارة أو عملا من الأعمال أن يراعي نظر
الله عز وجل إليه فيما يلي من ذلك العمل
ويعلم أن لكل عمل نهاية فيغتنم
أوقاته بأداء الأمانة والنصيحة لعباد
الله عز وجل ولا يتناول شيئا من مال

سلطانه ما قل او كثر بغير حق
او يتناول في شيء من ذلك او يستصغر
قدر الخيانة فمن يخشى مرفة السلطان
شاطت شفتاه ومن اكل من ماله
زبيبة ادى تمرة ولا يتعدى طوره
وليتايد في امره وليخش في ولايته
ويتعاهد على وداده ولا يكون كما قيل

تولاها

تولاها وليس له عدو وفارقها وليس له صديق
ولا يغتر اللبيب بالدنو من السلطان
وان كان عزيزا عنده وليكن على
ثقة من العزل فان السلطان كالنار
تحرق من دنا منها ويسلم من تباعد
عنها ويروى ان يوسف بن عمر الوزير
كان له جارية حظية ذات منزلة

لذنبه ۞ وكانت قائمة على رأسه
في خدمته فجاءه كتاب فتغير وجهه
فقالت أيها الوزير هذا كتاب عزل
فقال وكيف علمت قال لتغير وجهك
وقلما عهدت ذلك وقد كان يعزل
عنها مخافة الحمل ۞ فقالت يا مولاي
كيف اخترت العزل وهذا طعمه

قال إذن لا أعود قال جعفر
بن محمد كفارة عمل السلطان ۞
الإحسان إلى الإخوان ويروى أنه
لما نكب علي بن عيسى وعزل عن الوزارة
أصبح ولم ير بابه أحد فلما رجعت
إليه الوزارة عاد الناس إلى بابه يزدحمون
فأنشد فقال ۞ ۞

ما الناس إلا مع الدنيا وصاحبها
فكيف ما انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون أخا الدنيا وإن وثبت
يوما عليه بما لا يشتهي وثبوا

الباب الثالث

فيما يتعلق بالقضاة والأحكام

ثم من كمال سعادة الملك أن يختار لرعيته
من يقوم بالحكومة بينهم بما أمر الله في
كتابه ورسوله في سنته وأن
يكون بالغا عاقلا عالما مشهورا بالقضايا
والأحكام بصيرا بغوامض الحكومات
عالما بالناسخ والمنسوخ من كتاب الله
وسنة رسوله خبيرا بالتأويل
بصيرا باختلاف الفقها وقضايا السلف

من احكام الاسلام متيقظا فطنا
بلغات العرب ❁ عارفا بكتب السجلات
وما تثبت به الشهادات ❁ عالما
بالجرح والتعديل ❁ ذا ديانة وامانة
وعفة متواضعا واسع الصدر محتملا
لسوء اخلاق الخصوم واختلاف طباعهم
ويستحب ان يكون حاجبه ومن يلوذ

بمجلسه

بمجلسه حسن الخلق منبسطا يوصل اليه
حوائج الناس على الوجه من غير زيادة
ولا نقصان ❁ فبذلك يطيب الذكر
عنه ويستحب له ان تكون عارفا
باقدار اهل الفضل ومنازلهم وطبقاتهم
متوددا الى الصالحين وان يسوي بين
الخصوم في مجلسه بنظره وكلامه

ولا يحكم بظنه من غير بينة يسوغها الشرع
في كتاب ولا سنة ۞ وما أشكل
عليه من الحوادث ورأى المصلحة في
تأخيره أخره ۞ ويشاور كبار العلماء
ممن هو أسن منه ثم يجتهد بعد ذلك
ولا يحتجب عن الخصوم من غير عذر ويجب
على الملك تقوية يده ورفع الكلف

عنه في الشفاعات فيما لا يجيزه الشرع
ويرزقه من بيت المال ما يقوم
بكفايته وكفاية خادمه ودابته
وذلك من الواجب على الملك ويكره
له قبول الهدية ممن لم يكن له بذلك
عادة متقدمة ۞ فإن الهدايا للولاة
من الرشا كما روي عن جرير الأسدي

قال كان رجل لا يزال يهدي لعمر
رضي الله عنه فخذ جزور الى ان جاء
ذات يوم بخصم فقال يا امير المؤمنين
اقض بيننا قضاء فصلا كما تفصل الفخذ
من سائر الجزور قال فما زال يرددها
حتى خفت على نفسي فقضى عليه عمر وكتب
الى عماله اما بعد فاياكم والهدايا

فانها

فانها من الرشا وليعلم العاقل انه لو لم
يكن في هذا الباب من الاتعاظ والخوف
سوى الحديث المروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم لكان فيه الكفاية
وهو قوله عليه السلام من جعل قاضيا
فقد ذبح بغير سكين والحديث الاخر
القضاة ثلثة قاضيان في النار وقاض

في الجنة ❁ فينبغي لمن ولي الحكم بين المسلمين
ان يسأل الله عز وجل العصمة من الزلل
وأن يكثر الاستغفار في كل ليلة في
خلوته ❁ ويتذكر وقوفه بين يدي
الله في يوم القيامة للحساب وعرض
الأعمال ❁ ويسأل الله التوفيق
لإصابة الصواب فإن الله سبحانه إذا

علم من عبده خوفه وحسن نيته ❁
سدده وبصره وألهمه رشده وأعانه
وجعل في قلبه نورا يهتدي به لسبيل
الحق ❁ إنه جواد كريم ولقد ورد
عن القاضي شريح رحمه الله أنه أتى يوما
لمجلس الحكم بين الناس فنظر إلى رجل من
أعوانه يضحك فقال أتضحك وأنا

أنقلب بين الجنة والنار وذكر عن محمد بن
حريث قال بلغني أن نصر بن علي أرادوه
للقضا بالبصرة فامتنع فلما ألحوا عليه
دخل بيته ونام على ظهره وألقى ملاوته
على وجهه وقال اللهم إن كنت تعلم أني
كاره فاقبضني إليك فقبض رحمه
الله وروي عن ابن المبارك أن حياة ابن

شريح

شريح دعاه أبو عوانة حين قدم أميرا على
مصر وأراد أن يوليه القضا فأبى عليه
فقال أبو عوانة إن أمرنا لا يرد فإن
أنت لم تقبل لا أرضى منك دون دمك
فقال دعني أستخير الله الليلة ❁
فمضى إلى منزله وأوصى بوصيته وأحكم
أموره فدعاه من الغد ❁ قال

ما صنعت قال إني قرأت البارحة القرآن
فأتيت على ذكر السحرة جاؤا ليطفئوا نور الله
فآمنوا في ساعة واحدة وقالوا ما سمعت
فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة
الدنيا فلا ينبغي لي وقد ولدت في الإسلام
وكبرت فيه أن أكون أضعف يقينا منهم
اقض ما أنت قاض فوالله لا ألي الحكم أبدا

فقال

فقال أبو عوانة اذهب فأنت شيخ
أحمق وروي أنه لما ولي عبد الرحمن بن
أبي ليلى القضا بالكوفة ركب أول يوم
فاصطف الناس ينظرون إليه فأقبل
مجنون من مجانين الكوفة وقال انظروا
إلى من جمع الله له سرور الدنيا بحزن
الآخرة ❁ فقال ابن أبي ليلى لو سمعتها

قبل أن ألي ما وليت لهم شيئا فانظر أيها
الحاكم رحمك الله وتيقظ من سنة الغفلة
ولا تبع نصيبك من الآخرة بثمن لا يبقى
عليك فإن الأمر عظيم والخطب
جسيم واعتبر بذكر هؤلاء المعتنين
بخلاص نفوسهم فإنهم دعاهم خوفهم
من الله عز وجل واحترموا جانبه وطلبوا

رضاه وقاموا بأوامره فعند ذلك
خضعت لهم الرقاب وانقادت
لأحكامهم بأزمة عدلهم الصم الصلاب
فما ظنك بأهل زمانك هذا بأقوام يتغايرون
على هذا المقام الخطر ويبذلون
الأموال والمهج طلبا للرياسة والجاه
ويتهافتون فيه تهافت الفراش في المصباح

ولو عظموا شعائر الله وراعوا ما علمهم الله

ورسوله لعظموا لكن من طرح الاجتهاد

حرم التوفيق وعرج به عن قصد

الطريق قال الشاعر

إذا أراد الله أمرا بامرئ وكان ذا سمع وعقل وبصر

أصمه الله وأعمى قلبه واستل منه عقله سل الشعر

حتى إذا أنفذ فيه حكمه رد إليه عقله ليعتبر

كتب

كتب المنصور إلى سوار القاضي في شيء

كان الحق في خلافه فلم ينفذ سوار

كتابه ومضى الحكم عليه فتوعده

فقيل له يا أمير المؤمنين إنما عدل سوار

لك ومضاف إليك وزين خلافتك

فأمسك عنه وقيل كان حفص بن عتاب

جالسا في الشرقية يقضي فأرسل الخليفة

خلفه فقال للرسول حتى أفرغ من الخصوم
إذ كنت أجيرا لهم وأصبر إلى أمير المؤمنين
ولم يقم حتى تفرق الخصوم نادى
رجل سليمان بن عبد الملك وهو على المنبر
يا سليمان اذكر يوم الأذان
فنزل عن المنبر ودعا بالرجل فقال
سليمان ما يوم الأذان فقال فأذن

مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين
قال بما ظلامتك قال أرضي بمكان
كذا وكذا أخذها وكيلك
فكتب إلى وكيله ان ادفع إليه أرضه
وأرضي مع أرضه ومن أحسن ما ورد
في هذا الباب ما روى عن القاضي أبو
عمر بن حمه قال قدم خادم من

وجوه خدم المعتضد بالله إلى يوسف
بن يعقوب يعني اباه في حكم فارتفع في
المجلس فأمره الحاجب بالجلوس بموازاة
خصمه فلم يفعل إذلالا لعظم محله من
الدولة ❁ فصاح القاضي عليه وقال
قفاه تؤمر بموازاة خصمك فتمتنع ❁
يا غلام عمرو بن عمرو علي بالنخاس لأتقدم

إليه الساعة ببيع هذا العبد وحمل ثمنه
إلى أمير المؤمنين ثم قال لحاجبه خذ بيده
وسو بينه وبين خصمه فأخذ كرها
وأجلس مع خصمه ❁ فلما انقضى الحكم
انصرف الخادم فحدث المعتضد الحديث
وبكى بين يديه فصاح عليه المعتضد
وقال لو باعك لأجزت بيعه وما رددته

إلى ملكي أبدا وليس خصوصيتك بي تزيل
مرتبة الحكم فإنه عمود السلطان ۞
وقوام الأديان وروي أن رجلا استعدى
على علي كرم الله وجهه إلى عمر بن
الخطاب رضي الله عنه وعلي جالس عنده
فالتفت عمر إليه وقال يا أبا الحسن
قم فاجلس مع خصمك فقام فجلس مع

خصمه

خصمه فتناظرا وانصرف الرجل ورجع
إلى مجلسه فتبين عمر التغير في وجهه
فقال يا أبا الحسن مالي أراك متغيرا
أكرهت ما كان قال نعم قال
وما ذاك قال كنيتني بحضرة خصمي
هلا قلت لي يا علي اجلس مع خصمك
فأخذ عمر برأس علي فقبل بين عينيه

ثم قال يا أبا بكر هداناالله وبكم
أخرجنا من الظلمات الى النور ولما ولي
يحيى بن أكثم البصرة كان له يوم
يخرج فيه يخترق الأنهار يتفرج فيها
فخرج يوما كما كان يخرج فلما صار الى
بعض الأنهار اذا هو بجماعة من شهوده
قد نزعوا ثيابهم واتزروا بميازرهم

ونزلوا نهرا واذا هم في الماء يترامون
بالطين ❀ فلما رآهم عرف بعضهم
فلوى رأس بغلته راجعا فانقطعوا عن
حضور مجلسه فلما فقدهم بعث اليهم
فجمعهم فقال انقطعتم عني لما
رأيته منكم ما رأيت شيئا أنكره
قد كان أصحاب رسول الله صلى الله

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَرَامُونَ بِالْبِطِّيخِ وَكَانُوا
يَتَغَاطُونَ فِي الْمَاءِ ۞ وَحَدَّثَنَا فُلَانٌ
وَفُلَانٌ وَجَعَلَ يَسْرُدُ عَلَيْهِمْ فِي هَذَا الْمَعْنَى
إِلَّا أَنَّكُمْ أَخْطَأْتُمْ فِي وَاحِدَةٍ كَانَ
يَنْبَغِي أَنْ تُرْصِدُوا بَعْضَ مَنْ يَنْظُرُ لَا يَمُرُّ
بِكُمْ مَنْ تَحْتَشِمُوهُ أَمَّا أَنَا فَلَا تَحْتَشِمُونِي ۞
وَلَكِنْ لَا يَمُرُّ بِكُمْ جَاهِلٌ فَيَبْغِي عَلَيْكُمْ

الجهال

الْجُهَّالُ قُومُوا إِلَى مَكَانِكُمْ مِنْ حُضُورِ
الْمَجْلِسِ خَرَجَ شُرَيْحٌ يَوْمًا مِنْ مَجْلِسِ الْقَضَا
فَلَقِيَهُ رَجُلٌ فَقَالَ أَمَا حَانَ لَكَ يَا شُرَيْحُ أَنْ
تَخَافَ اللهَ وَتَسْتَحْيِي قَالَ وَيْلَكَ مِنْ أَيِّ
شَيْءٍ ۞ قَالَ كَبُرَ سِنُّكَ وَفَسَدَ
ذِهْنُكَ وَكَثُرَ نِسْيَانُكَ وَادَّهَنَ كِتَابُكَ
وَارْتَشَى ابْنُكَ وَصَارَتِ الْأُمُورُ تَجُورُ عَلَيْكَ

فقال والله لا يقولها أحد بعدك

واعتزل عن القضا ولزم منزله ۞ وقضى

شريح بالكوفة سبعين سنة ۞ ولاه

عمر بن الخطاب وبقي إلى أيام الحجاج

وعاش مائة وعشرين سنة ۞

الباب الرابع

في حفظ الجند ومراعاة أحوالهم

فهم حماة الملك الذابين عن بلاده

وبهم تداول الدول ومن أعظم

المهمات ۞ وأدعى إلى الحاجات للملك

الحازم أن يختار لدوام دولته وحفظ

بلاده ورعيته ۞ الأجناد الكثيرة

ثم من لهم التقدم والبصيرة بملاقات

الحروب والنوازل الحافظين لعهودهم

ومواثبهم ومثال الملك في دولته
وشدة بأسه كالعقاب الكاسر
والأجناد منه كالأجنحة وكبار
الجند من الأمراء كالمخاليب للعقاب
والطلائع كالأعين للعقاب
فبقوة الأجنحة وكثافة الريش
ينهض العقاب وبقوة مخاليبه يقتنص

الصيد

الصيد وبحزم طلايعه يشاهد ما غاب
عنه وينبغي له أن يعتضد بكثرة الأتباع
والإحسان إليهم في وقت السلم ليكون
معتدا للحوادث مستظهرا على إتباع
الأعدا فيصير بذلك قاهرا لا
مقهورا وأن يعفو الملك عن زلات
الجند ما لم يكن ممالأة أو قدحا في الدولة

ولا يسمع قول الساعين المتخرصين فان
ذلك مما يوهن قواعد الملك ولا يرى
العجلة في قطع رزق من سعى به اليه
فان ذلك لا يليق بالملوك، فان السادة
يعاقبون بالهجران ❁ ولا يرون
الحرمان وقيل ان ناصر الدولة قال
هذا الكلام حين سخط على بعض كتابه

فاستمر في قطع جرايته فتلفظ بذالك فقال
ابو فراس يا لها من لفظة جمعت الفصاحة
والسماحة وينبغي للملك ان لا يكلف
جنده ورعية بلاده ما لا يطيقون ❁
فان ذلك يضر بالملك ويكرهون دوام
دولته ❁ والله تعالى رفيق يحب الرفيق
والرفق ما كان في شيء الا زانه

ولا كان الخرق في شيء إلا شانه وقد
كان بعض الملوك يقول لوزيره مر
جباة الأموال بالرفق وترك الخرق
فإن العلقة تنال من الدم بغير أذى
ولا سماع صوت ما لا تناله البعوضة
بحرّ لسعها وهول صوتها ومما يجمل
به ذكر الملوك ومن دونهم من أهل المناصب

اجتناب المحذورات وصيانة الفرج عن
المحرمات وترك ما تسقط به المروآت
وأن يغار على أهله وابنته كما يغار
على حرمه وإن كان الرعية من جملة
حرمه لأنهم في ظل كنفه وحمايته
ولا يسامح في إقامة الحدود المأمور بها
في كتاب الله وسنة رسوله وروي

حماد بن سلمة عن عطا بن السايب قال
كان رجل في بني اسرايل من عبادهم
يعمل بالمسحاة وكانت له امراة من اجمل
بني اسرايل ❁ فبلغ جبارا من جبابرة بني
اسرايل جمالها فارسل اليها عجوزا من
عجايز بني اسرايل واوصى ان تقول لها
اترضين ان تكوني عند مثل هذا الذي

يعمل بالمسحاة ولو كنت عندي لحليتك
الذهب وكسوتك الحرير واخدمتك
الخدم وكانت تخدمه وتفرش له
فراشه فلم تفعل ما كانت تفعله من
قبل وتغيرت عليه ❁ فقال
يا هنتاه ما هذا الخلق الذي لا اعرفه
منك قالت هو ما ترى قال

فطلقها فتزوجها جبار بني إسرائيل فلما
دخلت عليه وأرخيت الستور عمي وعميت
فأهوى بيده ليلمسها فجفت يده
وأهوت بيدها لتلمسه فجفت يدها
وصما وخرسا ونزعت منهما الشهوة
فلما أصبحا رفعت الستور فإذا هما صم
خرس عمي ۞ فرفع خبرهما إلى نبي بني

إسرائيل فرفع خبرهما إلى الله عز وجل
فأوحى الله عز وجل إني لست أغفر لهما
أبدا ظنا أن ليس يعنيني ما عملا بصاحب
السجادة وقد قيل رب شهوة أعقبت
ندامة بل حزنا طويلا قال الشاعر

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها ۞
من الحرام ويبقى الإثم والعار

تبقى عواقب سوء من مغبتها

لا خير في لذة من بعدها النار

وكانت هذه العقوبة غيرة من الله عز وجل
لوليه صاحب المسحاة كما جاء عنه
تعالى في بعض كتبه من أهان لي
وليا فقد بارزني بالمحاربة وكما قال
إن سعدا لغيور وإن الله لأغير من سعد

وقد

وقد روي عن بعض أهل العلم قال
كان يجلس إلي رجل شيخ فأي شيء
تكلمت به من العلوم بكى حتى طال ذلك
علي فقلت له يوما وقد خلونا أراك
ملازم مجلسي ثم لا تسألني عن شيء ولا أزال
أراك باكيا فما حالك فقال نعم يا سيدي
أعلم أني كنت أشتري الغلمان وأبيعهم

لِلفَائِدَةِ فَوَقَعَ لِي غُلَامٌ وَضِيُّ الْوَجْهِ
كَامِلُ الْخِلْقَةِ وَكَانَ دُونَ الْبُلُوغِ
فَابْتَعْتُهُ بِثَلَثِ مِائَةِ دِينَارٍ وَزَيَّنْتُهُ وَهَيَّأْتُهُ
لِمَنْ يَرْغَبُ فِي شِرَائِهِ ❁ فَاجْتَازَ بِنَا
يَوْمًا غُلَامٌ شَابٌّ حَسَنُ الْوَجْهِ عَلَى دَابَّةٍ لَهُ
فَلَمَّا رَأَى الْغُلَامَ قَالَ هَلْ عَلَى هَذَا سَوْمٌ
قُلْتُ نَعَمْ فَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ وَقَلَّبَ الْغُلَامَ

واستع

وَاسْتَعْلَمَ جِنْسَهُ وَاسْمَهُ وَمَا يُحْسِنُ ثُمَّ
وَضَعَ فِي يَدِهِ شَيْئًا مِنَ الذَّهَبِ هِبَةً لَهُ
ثُمَّ رَكِبَ دَابَّتَهُ وَمَضَى ❁ فَلَمَّا كَانَ
فِي الْيَوْمِ الثَّانِي عَادَ وَاسْتَامَ الْغُلَامَ
وَلَمْ يَنْتَظِمْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَمْرٌ فَلَمَّا كَانَ
فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ جَا فِي طَلَبِ الْغُلَامِ وَاشْتَرَاهُ
بِمَا وَقَعَ عَلَيْهِ الِاتِّفَاقُ مِنَ الثَّمَنِ دُونَ

القبض على شرط أن يسبر عقله وأمانته
وأنه خال من العيوب التي تفسخ عقد
البيع وسلمت الغلام إليه على الشروط
المتفق عليها وحملته معه إلى منزله
عشيا ❁ فلما كان الغداة أقبل
الغلام باكيا جزعا فقلت ويحك
ما شأنك ومم هذا البكاء والجزع

فقال يا مولاي مات والله الشاب في هذه
الساعة فقلت له ويحك أخبرني بأي سبب
مات وكيف كان ذلك فقال يا مولاي
دخلت معه منزله فأحضر طعاما فأكلت
وغسلت يدي وأتى بطيب فطيبني ووضع
منا ما فنيمني ❁ ثم قال إنا لله وإنا إليه
راجعون ثم وضع إصبعه السبابة على

خدی ثم قال أشهد إنك لحسن وما تدعونی
نفسی إليه منك لقبيح وما وعد الله عليه
من العقوبة أقبح وأشد ۞ ثم قال
لا حول ولا قوة إلا بالله وإنا إليه راجعون
ثم وضع إصبعه على خدی أيضا ثم قال
أشهد إنك لحسن والعفة عنك أحسن
منك وما وعد الله عليها من الخير والثواب

أحسن

أحسن وأحسن ۞ ثم سقط فحركته
فإذا هو قد مات قال الشيخ فأنا
أبكي على ذلك وظرفه وعفته وحسنه
إلى أن أموت فقلت له والله يحق لك
البكا عليه رحمه الله ۞ فليعتبر
الواقف على هذا وينظر في قصة هذا
الفتى وعفته وجهاده لعدوه الشيطان

وحسن صبره مع القدرة والتمكن
لمباشرة الفتنة إلى أن زهقت نفسه خوفا
من خالقه ورجا لما عند الله من الأجر العظيم
والثواب الجزيل قال الله تعالى وأما
من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى
فإن الجنة هي المأوى فتيقظ أيها الإنسان
واسأل الله العصمة من مقارفة الفتنة

ولا تظن أنك خلوت بها ولكن خلي بك
ولا ظفرت بل ظفر بك وقال بعض الحكما
ليس الخايف من بكا وعصر عينه وإنما
الخايف من ترك ما يخاف أن يعذب به
عليه وينبغي للملك أن يكون وافر العقل
ذا فطنة ينظر في عواقب الأمور ومباديها
ويكون في تدبر الحيل مع عدوه كاللاعب

بالشطرنج كما روي عن معاوية بن ابي سفيان
انه لما اسن اعتراه ارق وكان اذا اغفى
ايقظته النواقيس فلما اصبح دخل الناس
عليه فقال يا معاشر العرب هل فيكم فتى
يفعل ما امره واعطيه ثلث ديات اعجل
واحدة وعند عوده ياخذ الديتين
فقال فتى من غسان انا يا امير المومنين

قال

قال تذهب بكتبي الى ملك الروم واذا صرت
الى بساطه اذنت قال لقد كلفت صغيرا
واعطيت كثيرا فكتب له وخرج
فلما صار على بساط ملك الروم اذن فتأخرت
البطارقة واخترطوا سيوفهم فسبق اليه ملك
الروم فجثا عليه وحلفهم بحق عيسى وبحقه
الا كفوا عنه ثم ذهب به الى سريره

وصعد به ثم جعله بين رجليه ثم قال
يا معشر البطارقة اعلموا أن معاوية قد
أسن ومن أسن أرق ❁ وقد أخذته
النواقيس فأراد أن تقتل هذا العربي على
الأذان ❁ فيقتل من عنده منا ببلاده
على النواقيس وبالله ليرجعن إليه على
خلاف ما ظن وكساه وحمله . فلما عاد

إلى معاوية ❁ قال أو قد جئتني
سالماً ❁ قال أما من قبلك فلا ❁ فلينظر
الملك اللبيب ❁ والفطن الأريب
وتجرد ثاقب فهمه إلى صنع معاوية
وتوصله إلى استئصال عدوه ❁ بحذق
مكره ولطف حيلته ❁ ثم اعتبر
بيقظة ملك الروم وفطنته وسرعة

معرفته بمقصود معاوية ❁ ولنس

ذلك الا من خواص اسرار الله في الملوك

والله الموفق بمنه وكرمه لمن يشاء

من عبيده وخلقه ❁ وحسبنا الله ونعم الوكيل

ولا حول ولا قوة الا بالله العلي

العظيم ❁ وصلى الله على سيدنا محمد

خاتم النبيين وامام المتقين ❁ ورسول

العالمين ❁ وعلى آله وصحبه اجمعين

وسلم تسليما كثيرا دائما ابدا الى يوم الدين

❁ والحمد لله رب العالمين ❁

كتبه المملوك

جانتمر الزركاشي

من طبقة الزمام الملكي

الاشرفي